Ξοανηφόροι حاملو الأوثان

تعليق على شذرة سوفوكليس (TrGF, Vol.4 Fr.452 Radt)

د. أيمن عبد التواب حسن

أستاذ الأساطير الكلاسيكية المساعد

كلية الآداب– جامعة عين شمس

Abstract

"Image – bearers"

a Commentary on Sophocles' Fragment (TrGF,vol.4Fr.452Radt)

This research sought to study one of the fragments that reached us out of the missing Sophocles' works, it is the only remaining fragment of a play called "The image – bearers" which is unique and study worthy in the researcher's opinion, due to its new unprecedented ideas, and the questions it arises on the part of the researcher, because of the nature of the topic it deals with, as well as the style of Sophocles, regardless of the fact that such fragments hadn't been widely studied either by Arab or foreign scholars. The researcher attempted to comment on this fragment and analyze the ideas it embraces, in the light of the available literary sources, to know all about it, set the date of the play performance and the status it has among the other Sophocles' plays.

The researcher concluded that this play is closely related to the events witnessed by the city of Athens during the period between 416 and 415 B.C., when the Athenians laid siege the Melians in 416 B.C. as a result of refusing to pay the yearly tribute to Athens. Although the Melians had surrendered due to starvation, the Athenians entered the city suddenly killing men and youth, capture women, children and aged men, and sold them in the slaves' market. The news was spread that the gods had abandoned Melos after the city had been void of the worshipers. Consequently, Athenians felt shocked in the evening that witnessed the preparations of the campaign against Sicily, Unknown people destroyed and distorted the statues of the god Hermes. That was a bad omen for the campaign which ended with the Athenian fleet being destroyed and the Athenian Empire broken down. In the light of connecting such given information with the title of the play and the only remaining fragment, the researcher dates the play to 414 B.C., as Sophocles wanted to warn the

Athenian society against the consequences of neglecting the rights of gods, disrespecting their sacredness and insulting their holy symbols. Sophocles found that gods' abandonment of Ilion, which had become like a proverb, is an appropriate topic reflecting his massage. Thus, he modified the narrative to make clear that gods were very keen on protecting their holy rites from being insulted. He made the gods carry the statues worshipped on their shoulders on leaving the places of their worship in Ilion. The researcher came up with the fact that there is a connection between the topic of this play and the two plays: "Laocoon" and "Locrian Ajax", both of which were missed, except for a few fragments, as far as the idea and narrative sequence are concerned, according to the mythical traditions. So, the researcher suggests that the play under study represents, in addition to the other two plays, a connected tragic trilogy. It is likely they were performed all together during the Dionysia feasts in 414 B.C. The researcher also attempted to identify the play characters, the sources that Sophocles had derived his topics from, and the effect of his focusing on the political work. He was also keen on defining whether this fragment was a text derived from the play context or an overall summary of its topic. The researcher used both the analytical and comparative approach.

لا شك أن الشذرات التى تصلنا من أى عمل أدبى مفقود لها أهميتها الخاصة، وتزيد هذه الأهمية بقدر ما يحظى به الكاتب من اهتمام، أو بقدر ما تتفرد به الشذرة من مضمون، وكلما كانت السطور المتبقية كاشفة لطبيعة العمل الذى وصلتنا منه، كلما زادت قيمتها، وشجعت على دراستها. يسعى هذا البحث إلى دراسة إحدى الشذرات التى وصلتنا من أعمال سوفوكليس Σοφοκλῆς المفقودة، وهى الشذرة الوحيدة المتبقية من مسرحية بعنوان "حاملو الأوثان" Ξοανηφόροι[١]، والتى يرى الباحث أنها تتسم بالتفرد وتستحق الدراسة؛ لما تحمله من أفكار جديدة لم ترد فى

[١]– فضل الباحث استخدام مصطلح "أوثان" لأنه أدق من مصطلح "تماثيل"، ذلك أن "أوثان" أكثر تحديدا من "تماثيل"، عندما تكون التماثيل موضع عبادة. يرد فى المعجم الوسيط (باب الواو فصل الثاء مع النون) "الْوَثَنُ: التِّمثال يُعْبَدُ سواء أَكان من خشب أَم حجر أَم نُحاس أَم فِضَّة أَم غير ذلك."

المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١٠١٢.

أى مصدر سابق على سوفوكليس، وما تثيره من تساؤلات لدى الباحث، نظرا لطبيعة الموضوع الذى تعالجه وأسلوب سوفوكليس فى تناوله. ناهيك عن أن هذه الشذرة لم يسبق وأن تناولها أحد من الباحثين العرب أو الأجانب بدراسة وافية. وسوف يسعى الباحث للتعليق على هذه الشذرة، وتحليل ما تنطوى عليه من أفكار، على خلفية ما وصلنا من مصادر، فى محاولة لسبر غورها، وتحديد تاريخ عرض المسرحية، وموقعها من مسرحيات سوفوكليس الأخرى. وسوف يعتمد الباحث فى هذه الدراسة على تطبيق المنهجين التحليلى والمقارن.

وردت هذه الشذرة عند شراح مسرحية "السبعة ضد طيبة" Ἑπτὰ ἐπὶ Θήβας (حوالى ٤٦٧ ق.م) لأيسخيلوس Aἰσχύλος (٥٢٥-٤٥٦ ق.م.): تعليقا على البيت (٣١٠) عند ديندورف Dindorf [٢]، أو البيت (٣٠٤) عند ناوك Nauck [٣] ورادت Radt [٤]، أو تعليقا على البيت (٢٩١) عند بيرسون Pearson [٥]. وقد أرجعها الشارح إلى مسرحية مفقودة- بالنسبة لنا- ينسبها لسوفوكليس بعنوان "حاملو الأوثان". يقول الشارح وفقا لنص الشذرة:

"εἴρηται δὲ καὶ ἐν Ξοανηφόροις Σοφοκλέους ὡς
οἱ θεοὶ ἀπὸ τῆς Ἰλίου φέρουσιν ἐπὶ τῶν ὤμων
τὰ ἑαυτῶν ξόανα, εἰδότες ὅτι ἁλίσκεται"

"ويذكر سوفوكليس أيضا فى *حاملو الأوثان* أن الآلهة حملوا أوثانهم على أكتافهم بعيدا عن إليون، لأنهم أيقنوا أنها (أى المدينة) كانت تسقط (فى أيدى الإغريق)"

[2] - Dindorf (W.), Poetarum Scenicorum Graecorum: Aeschyli, Sophoclis, Euripidis, et Aristophanis abulae quae extant omnes: cum deperditarum fabularum fragmentis, necnon caeteris earum scriptis, J. Abrams et C. Richards, London, 1846, Fr.410.

[3] - Nauck (A.), Tragicorum Graecorum Fragmenta, B.G. Teubner, Lipsiae, 1856, Fr.414.

[4] - Radt (s.), Tragicorum Graecorum Fragmenta, Vandenhoeck and Ruprecht, Göttingen, Vol.4, 1977, Fr.452.

[5] - Pearson (A.C.), The Fragments of Sophocles, Cambridge University Press, Vol.2, 1917, Fr.452.

نخرج من خلال القراءة المبدئية لمضمون الشذرة بأن موضوعها يرتكز على فكرتين: **الأولى**، أن مدينة إليون Ἴλιον أوشكت على السقوط. و**الثانية**، حرص الآلهة على الخروج، حاملين تماثيل عبادتهم، قبل سقوط المدينة. علاوة على ذلك يمدنا السياق، الذى وردت فيه الشذرة عند الشراح، بعنوان المسرحية التى تنتمى إليها الشذرة.

هل يمكن اعتبار هذه الشذرة نصا من المسرحية أم ملخصا لفكرتها؟

استخدم الشارح فعل القول εἴρηται (من "ἐρῶ") مع أداة الربط ὡς، وهو ما يفيد بأن ما يرد يعد من الكلام غير مباشر. وبالتالى فإن ما أورده الشارح لم يكن نصا مباشرا من مسرحية سوفوكليس. أى أنه ليس أبياتا وردت فى المسرحية، ولكنه عبارة عن عرض لفكرة، قد تكون هذه الفكرة تم عرضها فى مشهد أو حديث، وقد تكون هي الفكرة الإجمالية للمسرحية ككل. بالنظر إلى عنوان المسرحية يميل الباحث إلى أن ما أتى الشارح على ذكره هو تلخيص إجمالى لمضمون المسرحية، قد يكون الشارح اجتهد فى وضعه، أو استقاه من أحد فهارس التصنيف التى تم انتاجها فى الأسكندرية. فمن المعروف أن زينودوتوس Ζηνόδοτος (القرن الثالث ق.م) اجتهد فى إلحاق بطاقة صغيرة σίλλῠβοι مدون عليها تعليق عقب كل مخطوطة[٦]. يحتوى هذا التعليق على اسم المؤلف وعنوان العمل وموضوعه[٧]، مما يعين رواد المكتبة على معرفة محتوى المخطوطة دون فردها[٨]. وقد أسهم كاليماخوس Καλλίμαχος (٣١٠-٢٤٠ ق.م) في تطوير هذا النظام عن طريق ما

[6]- Staikos (K.), The Great Libraries: From Antiquity to the Renaissance, Oak Knoll Press, Newcastle, Delaware, 2000, p.68

[7]- Wright (A.), Glut: Mastering Information Through the Ages. Joseph Henry Press, Washington, 2007, p.73.

[8]- Eliot, S., and Rose, J. (eds), A Companion to the History of the Book, Blackwell Publishing, Malden, Massachusetts, 2007, p.86.

نظمه من قوائم فهارس Πίνακες[9]، مرتبة هجائيا بأسماء المؤلفين وأعمالهم تبعا للصنف الأدبى والمعرفى الذى كتبوا فيه[10]. وربما يعضد ما نذهب إليه– فى أن ما أورده الشارح كان عبارة عن ملخص للمسرحية– أن الشارح لم يحدد أرقام أبيات، ولم ينسب ما أورده إلى إحدى شخصيات المسرحية، وإنما نسبه بشكل مباشر للمؤلف. وبذا يكون فعل القول هنا بمعنى "ذكر" أو "أخبر" أو "روى"، وقد وردت هذه المعانى من بين ما ورد فى معانى الفعل ἐρῶ فى قاموس اللغة اليونانية القديمة –A Greek English Lexicon[11].

عنوان المسرحية

يبدو عنوان المسرحية المنسوبة إليها الشذرة مبهما بعض الشئ، فمن الصعب التكهن بكنه الموضوع، الذى تعالجه المسرحية، من عنوانها، على غير ما قد يحدث مع عناوين المسرحيات التى تحمل أسماء أبطال أو بطلات، على سبيل المثال، فيمكننا أن نخمن موضوع مسرحية تحمل اسم إلكترا Ἠλέκτρα، أو أياس Αἴας، أو أنتيجونى Ἀντιγόνη، أو فيلوكتيتيس Φιλοκτήτης، وكذلك يمكننا تخمين موضوعات المسرحيات التى ترتبط بأساطير معروفة مثل "السبعة ضد طيبة" لأيسخيلوس. مع ذلك قد يساعدنا تحليل الشذرة الوحيدة المتبقية من هذا العمل المفقود فى تحديد ملامح الموضوع الرئيس، الذى تعالجه المسرحية.

تساور ناوك الشكوك حول عنوان المسرحية، ويقترح نسبة الشذرة لمسرحية "لاوكؤون" Λαοκόων المفقودة[12]، ولم يعطنا سببا لشكه فى صحة نسبها، أو يقدم

---

[9]- El-Abbadi (M.), The Life and Fate of the Ancient Library of Alexandria, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Mayenne, 1990, p.101.

ألف كاليماخوس بالإضافة لقوائم الفهرسة قوائم أخرى بموضوعات خاصة.

=Witty (F.J.), "The Other Pinakes and Reference Works of Callimachus". The Library Quarterly,43, (July 1973), p.237.

[10]- Wright, op.cit., p.73.

[11] - LSJ. SV. ἐρῶ

[12] - Nauck, Fr.414.

دليلا يدعم إعادة نسبها لمسرحية "لاوكؤون". يعترض كذلك فيلكر Welcker على نسب الشذرة لمسرحية بعنوان "حاملو الأوثان"، ويحبذ أيضا نسبها إلى "لاوكؤون"، حيث يرى أنه من الصعب عرض مسرحية بطلها الرئيس جوقة مؤلفة من حشد من الآلهة يظهرون على المسرح، وهم يفرون من طروادة Τροία حاملين تماثيلهم، ويقترح أن الشارح أراد فى تعبيره ''εἴρηται δὲ καὶ ἐν Ξοανηφόροις'' أن يستخدم حرف الجر ἐν بمعنى "عن" وليس بمعنى "فى"، مستشهدا باستخدام مشابه عند ثوكيديديس Θουκυδίδης (٤٦٠-٤٠٠ ق.م.)[١٣]، أو أن الشارح- من وجهة نظره- ربما استخدم ἐν Ξοανηφόροις بدلا من ἐπί τῶν Ξοανηφόρων [١٤]. وقد أورد بيرسون رأى فيلكر كمقدمة للشذرة بشكل يوحى بتصديقه على ما ذهب إليه فيلكر[١٥]. مع ذلك لم يخرج رأى كل من ناوك وفيلكر من تحت مظلة الشك فى صحة نسبة المسرحية لسوفوكليس، الأمر الذى لا يقوم عليه دليل قاطع، ولذا فلم يبادر أى من المحررين بنقل الشذرة إلى مسرحية "لاوكؤون"، وظلت الشذرة فى كآفة الطبعات تحت عنوان مسرحية "حاملو الأوثان".

أتى العنوان فى حالة الجمع. ومن واقع المسرحيات المتبقية من الموروث التراجيدى، فإننا ندرك أن معظم المسرحيات التى تحمل عناوين فى حالة الجمع تلعب فيها الجوقة دورا محوريا، بغض النظر عن حجمه، ويكون تركيز الموضوع الرئيس منصبا عليها، أو تكون الجوقة ضالعة فى أحداثه. ويمكن ملاحظة ذلك فى مسرحيات إغريقية مثل: "الضارعات" Ἱκέτιδες، و"حاملات القرابين" Χοηφόροι،

---

[13] - Thuc., 1.9.
''ἐν τοῦ σκήπτρου ἅμα τῇ παραδόσει''
[14] - Welcker (F.G.), Die griechischen Tragödien mit Rücksicht auf den epischen Cyclus, E. Weber, Bonn, 1839, p.66.
[15] - Pearson, Fr.452.

و"الطروادیات" Τρῳάδες، و"الفینیقیات" Φοίνισσαι، و"نساء تراخیس" Τραχίνιαι، و"عابدات باکخوس" Βάκχαι، و"الإیرینیات" Ἐρινύες'[١٦].

وإذا کانت المسرحیة بالفعل تتبنی قضیة الجوقة فإن الجوقة فی مسرحیة "حاملو الأوثان"– وفقا لمضمون الشذرة– کانت تتألف من الآلهة، الذین کانوا یعبدون فی طروادة، والذین حملوا تماثیل عبادتهم علی أکتافهم ورحلوا. ویصعب تصور الإطار الذی حضر الآلهة فیه إلی المسرح مجتمعین. کما یصعب معرفة إذا ما کانوا قد ظهروا علی خشبة المسرح وهم یحملون تماثیل عبادتهم، أم کان هذا مجرد وصف سردی؟ وذلك لصعوبة التطبیق، وهذا ما ألمح إلیه فیلکر. ویمکننا أن نقدم فرضیة أخری مبنیة أیضا علی سوابق العروض المسرحیة الإغریقیة: أن حاملی الأوثان الذین أحضرهم سوفوکلیس إلی خشبة المسرح لم یکونوا سوی نماذج من الآلهة، ولیس کل الآلهة مجتمعین، وبالتالی یکون ظهور إله أو أکثر بوصفه من شخصیات المسرحیة أمرا یسیرا. فقد ظهر– علی سبیل المثال– کل من بوسیدون Ποσειδῶν وأثینة Ἀθηνᾶ فی برولوج "الطروادیات" لیوریبیدیس Εὐριπίδης (٤٨٠–٤٠٦ ق.م.)، وظهرت کل من أفرودیتی Ἀφροδίτη وأرتمیس Ἄρτεμις فی مسرحیة "هیبولیتوس" Ἱππόλυτος. ومرت ببرومیثیوس Προμηθεύς شخصیات عدة من القوی الإلهیة فی "برومیثیوس مقیدا" Προμηθεὺς Δεσμώτης لأیسخیلوس. وبالتالی فإن حضور بعض الآلهة بوصفهم نماذج یسمح لهم بلعب أدوار محوریة فی المسرحیة، وقد أصبحوا عند سقوط المدینة، وفی لحظة خروجهم منها حاملین تماثیل عبادتهم، یوصفون بالصفة المرکبة المستخدمة کاسم "حاملو الأوثان" Ξοανηφόροι، والتی جاء منها عنوان المسرحیة.

[16]- Kirkwood (G.M.), "The Dramatic Role of the Chorus in Sophocles", Phoenix, Vol. 8, No. 1 (Spring, 1954), p.1-22.
=Weiner (A.), "The Function of the Tragic Greek Chorus", Theatre JournalVol. 32, No. 2 (May, 1980), p. 205-212.

على أى حال كان سوفوكليس معروفا بأنه يجيد توظيف الجوقة فى مسرحياته، وقد امتدحه أرسطو Ἀριστοτέλης (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) فى حسن توظيفه للجوقة بوصفها واحدا من الممثلين، حيث يلعبون دورا مؤثرا فى الأحداث[١٧]. ويرى كيتو Kitto أن سوفوكليس ابتكر وظيفة جديدة للجوقة، والتى تتمثل فى أنها دوما تلعب دورا دراميا مؤثرا فى الأحداث[١٨]. وبالتالى فإن الكيفية التى أدت بها الجوقة فى هذه المسرحية دورها على المسرح لم تكن لتشكل إشكالية معقدة بالنسبة لكاتب متمرس مثل سوفوكليس.

تاريخ المسرحية المقترح

لا شك أن تأريخ مسرحيات سوفوكليس، التى وصلتنا كاملة، يتسم بالترجيح أكثر من القطع، إذ لا نملك أدلة كافية تساعدنا على القطع بتواريخ دقيقة محددة[١٩]. وقد يكون التأريخ أكثر صعوبة، عندما يتعلق الأمر بالشذرات. من ثم فإن محاولة التأريخ تظل محض اجتهاد يعتمد فيها الباحث على المتاح من معلومات. كان سوفوكليس مهتما بالحياة السياسية كما كان منخرطا فيها[٢٠]: فقد تم انتخابه بوصفه واحدا من القادة العشرة، ورافق بيركليس فى حملته لإخماد ثورة ساموس (٤٤١-٤٤٠ ق.م.)، وكان أحد الأمناء على الخزانة ἑλληνοταμίαι (٤٤٣-٤٤٢ ق.م.) فى أثينا Ἀθῆναι. وتم اختياره فى ٤١٣ ق.م. بوصفه عضوا من المفوضين الاستشاريين فى اللجنة التأسيسية Πρόβουλοι، الذين تم منحهم صلاحيات خاصة،

---

17 - Aristotle, Poetics, ch.18.

18 - Kitto (H.D.F.), Greek Tragedy: A Literary Study, Doubleday, Garden City, New York, 1957, p.165.

١٩- أحمد عتمان، الأدب الإغريقى: تراثا إنسانيا وعالميا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٨٧.

٢٠- عن نشاط سوفوكليس السياسى ومواقفه السياسية، راجع:

Osborne (R.), "Sophocles and Contemporary Politics", in A Companion to Sophocles", Kirk Ormand (ed.), Wiley-Blackwell, Malden, 2012, p.270ff.

وتم تكليفهم بالعمل على إعادة تنظيم الأمور السياسية والمالية لمدينة أثينا، بعد كارثة الحملة البحرية على صقلية Σικελία والهزيمة فى سيراكوزا Συρακοῦσαι[٢١]. وقد وجد الباحثون فى مسرحياته انعكاسات لما تعايشه أثينا وبلاد اليونان فى عصره[٢٢].

يركز موضوع المسرحية– كما سبق وأوضحنا– على سقوط مدينة إليون بعد حصار طويل، وهو الموضوع الذى يستدعى للذهن ملابسات هذا السقوط وتبعاته، فسقوط مدينة إليون يرتبط بالوضع المأساوى والفجائع التى تعرض لها الطروادیون عند اقتحام الإغريق للمدينة: من قتل واغتصاب وتدنيس، وما قاسته نساء الأسرة الملكية الطروادية من قهر ومهانة، عندما تم توزيعهن كسبايا على قادة الإغريق، حيث تم ترحيلهن إلى بلاد اليونان. كما يركز أيضا على تخلى الآلهة عن المدينة، ورحيلهم عنها حاملين تماثيلهم، وهو ما يحمل تلميحا إلى عظم شأن تماثيل العبادة فى نظر أصحابها من الآلهة.

حينما نعيد قراءة هاتين الفكرتين، اللتين يرتكز عليهما موضوع المسرحية، فى ضوء الأحداث السياسية والاجتماعية التى مرت بها مدينة أثينا فى العصر الكلاسيكى، فإننا نجد من الأحداث ما يجعل المسرحية– محل الدراسة– تبدو كما لو

---

21 - Smith (W.), Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Little, Brown and co, Boston, 1867, S.V. Sophocles.

22 - Badger (N.J.), Sophocles and the Politics of Tragedy: Cities and Transcendence, Innovations in Political Theory (Book 48), Routledge, London, 2012.

Ferrario (S.), "Political Tragedy: Sophocles and Athenian History", in Brill's companion to Sophocles, Andreas Markantonatos (ed.), Brill, Leiden, 2012, p.447-470.

Atkison (L.M.), "Tragic Rhetoric: Sophocles and the Politics of Good Sense", PhD., University of Toronto, 2013.

Jouanna (J.), Sophocles: A Study of His Theater in Its Political and Social Context, tr. by Steven Rendall., University of Princeton Press, 2018.

Raaflaub (K.A.), "Sophocles and Political Thought", in Brill's companion to Sophocles, p.471-488.

كانت انعكاسا لها، مما يشجعنا على اقتراح تاريخ مناسب لهذه المسرحية، على وجه الخصوص وأنها– كما سبق وأشار الباحث– لم تتم دراستها من قبل.

كان من بين الأحداث التى هزت المجتمع الأثينى ما فعله القادة الأثينيون فى ميلوس Μῆλος فى عام ٤١٦ ق.م.: كانت جزيرة ميلوس، إحدى الجزر الإيجية ذات الموارد المحدودة، يعيش سكانها على الكفاف، وقد تخلفت عن دفع *الإتاوة* السنوية، التى فرضتها مدينة أثينا على أتباعها فى حلف ديلوس Δῆλος. اعتبر القائد الأثينى ألكيبياديس Ἀλκιβιάδης (٤٥٠–٤٠٤ ق.م.) هذا الوضع بمثابة معاداة لسياسة أثينا، فأعد حملة تطالب الميليين بالاستسلام. وبعد حصار دام لأشهر عدة، انتهجت فيه أثينا سياسة التجويع بغية التركيع، أرسل أهل الجزيرة وفدا للتفاوض، وقد سجل لنا ثوكيديديس الحوار الذى دار بين القادة الأثينيين ووفد المفاوضة الميلى فيما يعرف بـ"الحوار الميلى" The Melian Dialogue (Thuc.5.84-116). يُظهر الحوار الذى كتبه ثوكيديديس الصلف فى لهجة الأثينيين فى مقابل حديث الميليين، الذى تظهر منه قلة الحيلة. وضع الوفد المبعوث من قبل ميلوس ثقته فى أن الآلهة سوف تدعمهم، ولن تتخلى عنهم، وكذلك سيفعل الاسبرطيون. فقد كانت ميلوس من الأصل مستعمرة أسسها الاسبرطيون، لكن هذه الثقة فى الآلهة قابلها الأثينيون بثقة فى قوتهم، وأعلنوا أن الآلهة لا شأن لها بالأمر، وأن القوى من حقه أن ينتزع ما يشاء، وعلى الضعيف أن ينصاع ويسلم بالأمر؛ ذلك أن منطق العدالة يكون له دور فقط إذا ما تساوت القوى المتصارعة فى البأس. وما كاد أعضاء الوفد الميلى اليائسون يعودون إلى الجزيرة ليعلنوا لبنى وطنهم رد الأثينيين، حتى وجدوا القوات الأثينية تباغت الجزيرة بهجوم مفاجئ. قام الأثينيون بارتكاب جرائم تتسم بالوحشية، ولا تتناسب مع الفكر الأثينى المتحضر، فقد قاموا بقتل كل من لديه القدرة على حمل

السلاح، وعرضوا النساء والأطفال للبيع فى أسواق العبيد، وصادروا الأراضى ووزعوها على خمسمائة مستوطن أثينى[٢٣].

كان مثل هذا العمل الذى يخلو من الرحمة، ويبتعد عن أى توقير للآلهة، كفيلا باستفزاز قريحة أى مثقف حر، فما بالنا لو كان كاتبا عرف بتدينه مثل سوفوكليس[٢٤]. لذا فإن الباحث يميل إلى أن سوفوكليس أراد أن يربط جمهوره بين حصار إليون وحصار ميلوس: فقد كان الطرواديون المحاصرون من قبل الإغريق على ثقة بأن الآلهة تدعمهم، ولن تتخلى عنهم[٢٥]، كما كان حال أهل ميلوس، الذين أكدوا ثقتهم فى أن الآلهة قادرة على دعمهم[٢٦]، إلا أن الآلهة تخلت عنهم كما تخلت عن الطرواديين من قبل. ولم يجدوا منها دعما ولا نصرة.

بعد أقل من عام فى ٤١٥ ق.م. قرر القادة الأثينيون بقيادة ألكبياديس شن

---

[23] - Seaman (M.G.), "The Athenian Expedition to Melos in 416 B.C.", Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd. 46, H. 4 (4th Qtr., 1997), p. 385-418.
=Wassermann (F.M.), "The Melian Dialogue", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 78 (1947), p. 18-36.

باسل بن رؤوف الخطيب، "من التاريخ الدبلوماسي: التفاوض من مركز القوة، حوار اثينا وميلوس"، مجلة الدراسات الدبلوماسية"، العدد السابع، ١٩٩٠، ص ١٨٠-١٨٦.

[٢٤]- عمل سوفوكليس كاهنا فى معبد الإله أسكلبيوس Ἀσκληπιός وفى معبد البطل الأتيكى ألكون Ἄλκων. عن مناصبه الدينية وورعه راجع:

Smith, op.cit., S.V. Sophocles.
O'Connor (M.B.), Religion in the Plays of Sophocles, George Banta, Wisconsin, 1923.

عتمان، ذكر سابقا، ص ٢٥٨.

[25] - Ahrensdorf (P.J.), Homer on the Gods and Human Virtue: Creating the Foundations of Classical Civilization, Cambrige University Press, 2014, p.122ff.
[26] - Thuc., 5.104,112.

عن ثقة اهل ميلوس فى دعم الآلهة، راجع:

Crane (G.), Thucydides and the Ancient Simplicity: The Limits of Political Realism, University of California Press, 1998, p.246ff.

حملة على صقلية، وقد قوبل هذا القرار باعتراض من قبل نيكياس Νικίας (٤٧٠-٤١٣ ق.م.) رجل السلام. وما يهمنا فى هذه الحملة أنه أثناء الإعداد لها ٤١٥ ق.م. حدث حادث مروع أثار الفزع بين المواطنين من غضب الآلهة، واعتبروه نذير شؤم على اللحملة وعلى مستقبل أثينا، التى سيطر على قادتها العناد والصلف، ذلك أن أشخاص مجهولين قاموا بتحطيم تماثيل الإله هيرميس Ἑρμῆς النصفية المعروفة بـ ἑρμαῖ وتشويهها [٢٧]. تلك التماثيل التى كانت منتصبة أمام أبواب البيوت، وعند مفترق الطرقات فى مدينة أثينا، وقد كان الأثينيون يستبشرون بها ويبجلونها. ولم تعرف هوية الجناة، على الرغم من رصد مكافأة مالية كبيرة لمن يرشد عن فاعلها[٢٨].

كان هذا العمل أيضا يخلو من أى توقير للآلهة، وفيه إهانة لجلالها وتدنيس لحرمتها. ويمكننا القول إن هذا الحدث ألهم سوفوكليس بالحديث عن حمل الآلهة لتماثيلها حتى يتسنى له- كما نفترض- أن يظهر القدسية التى خصت بها الآلهة تماثيل عبادتهم، وشعورهم بالغضب إذا ما انتهكت حرمة هذه التماثيل أو تمت إهانتها.

كانت طبيعة تلك الفترة أيضا تتسم بتزعزع الإيمان فى الآلهة[٢٩]، وهى الفترة التى نشط فيها السوفوسطائيون، وظهر فيها المشككون أمثال دياجوراس من ميلوس

---

[27] - Kousser (R.), "The Mutilation of the Herms: Violence toward Images in the Late 5th Century BC", in Autopsy in Athens: Recent Archaeological Research on Athens and Attica, Oxbow Books, Oxford, 2015, p.76-84.

[28] - Kagan (D.), The Peace of Nicias and the Sicilian Expedition. Cornell University Press, 1981.

Andrewes (A.), "The Peace of Nicias and the Sicilian Expedition", in The Cambridge Ancient History, Vol.5, D.M. Lewis, J. Boardman, J.K. Davies and M. Ostwald (eds.), Cambridge University Press, 2006, p.433-463.

[٢٩]- عن الفكر التشكيكى وبدايات الإلحاد بالآلهة فى النصف الثانى من القرن الخامس ق.م. فى بلاد اليونان، راجع:

Bremmer (J.N..), "Atheism in Antiquity", in The Cambridge Companion to Atheism, Michael Martin (ed.), Cambridge University Press, 2006, p.12ff.

Διαγόρας ὁ Μήλιος (القرن الخامس ق.م.)، الذى قام بتقطيع تمثالا خشبيا لهيراكليس، واستخدمه كوقود لطهى طعامه، كما قام بإفشاء أسرار إليوسيس Ἐλευσίνια Μυστήρια؛ فقام الأثينيون بطرده من المدينة[٣٠].

بناء على ما سبق فإننا نقترح أن تاريخ عرض المسرحية كان تاليا لهذه الأحداث، التى لا شك أنها تركت أثرها على المجتمع الأثينى، ونرجح أن وقت عرضها كان فى مارس ٤١٤ ق.م. أثناء احتفال الديونيسيا Διονύσια فى مدينة أثينا، وهو الاحتفال نفسه الذى عرض فيه أريستوفانيس Ἀριστοφάνης (٤٤٦-٣٨٦ ق.م.) مسرحية "الطيور" Ὄρνιθες (٤١٤ ق.م.)، والتى ظهر فيها بوضوح تأثره بما حاق بأهل ميلوس، وقد ذكر صراحة أمر المجاعة التى عانى منها أهل ميلوس جراء حصار الأثينيين. يقول بيسيستراتوس Πεισίστρατος متحدثا إلى الهدهد:

“ὥστ᾽ ἄρξετ᾽ ἀνθρώπων μὲν ὥσπερ παρνόπων,
τοὺς δ᾽ αὖ θεοὺς ἀπολεῖτε λιμῷ Μηλίῳ.”[31]

"**عندئذ سوف تحكمون البشر كما (تحكمون الآن) الجراد،**
وسوف تبيدون الآلهة مرة أخرى بالمجاعة الميلية"

قدم يوريبيديس مسرحية "الطروادیات" (٤١٥ ق.م.) عقب واقعة حصار ميلوس فى عام ٤١٥ ق.م، وقد وقع فى هذا العمل تحت تأثير السمعة السيئة للحصار[٣٢]. اختار يوريبيديس الحكاية التى وجد في أحداثها النموذج الأقرب للأحداث التى يود أن يلمح إليها: حصار ميلوس وسقوطها، وممارسات الأثينيين غير الأخلاقية، ومصير الميليين، وموقف الآلهة من مثل هذه الممارسات البربرية. فقد كان

[30] - Winiarczyk (M.), Diagoras of Melos: A Contribution to the History of Ancient Atheism, Trans. Witold Zbirohowski-Kościa, Beiträge zur Altertumskunde, Band 350, De Gruyter, Berlin, 2016.
[31] - Aristoph., Av. 185-186.
[32] - Van Erp Taalman Kip (A.M.), “Euripides and Melos”, Mnemosyne, Fourth Series, Vol. 40, Fasc. 3/4 (1987), p. 414-419.

سقوط إليون النموذج الأشهر لمدينة سقطت بعد أن تم حصارها. وما لاقته نساء طروادة يشبه بدرجة كبيرة ما عانته نساء ميلوس، حيث أصبحن سبايا، ويقترب كذلك إثخان الآخيين فى الأمراء الطرواديين من المذبحة التى دبرها الأثينيون لشباب ميلوس ورجالها بعد أن أعملوا السيف فيهم.

بناء على ما سبق نفترض أن الوضع العام فى أثينا كان دافعا لشاعر عرف بتقواه وتوقيره للآلهة، مثل سوفوكليس، أن ينقل إلى مسرحه الموضوعات التى تجول فى أذهان بعض الأثينيين، وأن يصور هواجسهم من غضب الآلهة، الذى قد يصيبهم جراء ما اقترفته أيديهم فى ميلوس، وما لحق بتماثيل هيرميس من إهانة، على وجه الخصوص وأنهم كانوا بصدد إرسال حملة عسكرية يساورهم القلق من عواقبها، وتملك الصلف من صانعى قرارها، ذلك الصلف الذى تكرهه الآلهة، والذى يمكن لمحه فى حوار القادة الأثينيين مع وفد المفاوضة الميلى وأبرزه ثوكيديديس. وقد أثبتت الأيام أن قلق بعض الأثينيين فى محله، وعلى رأسهم نيكياس، رجل السلام [٣٣]، الذى كان يكن سوفوكليس له احتراما كبيرا، وتربطه به صداقة متينة[٣٤]. فقد منى الأسطول الأثينى بهزيمة نكراء، كانت المسمار الذى دق فى نعش الإمبراطورية الأثينية، وأدى لانهيارها، بعد أن فقدت أثينا قوتها البحرية الضاربة، وعددا هائلا من جنودها البواسل وقادتها المحنكين. لقد كان تصرف القادة الأثينيين فى حملتهم على ميلوس مقلقا أيضا لحلفاء أثينا فى حلف ديلوس، الذين غدوا لا يأمنون غشاوة صلف قادة أثينا، وما قد يترتب عليه من عواقب قد يصيبهم منها ما لا يحمد عقباه[٣٥].

---

[33] - Thuc., 6.9-14.

[34] - Westlake (H.D.), "Sophocles and Nicias as Colleagues", Hermes, 84. Bd., H. 1 (1956), p.110-116.

[35] - Kagan, The Fall of the Athenian Empire, Cornell University Press, London, 1987.

= سيد أحمد على الناصرى، الإغريق: تاريخهم وحضاراتهم، من حضارة كريت وحتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٤٠ وما بعدها.

كانت قراءة كل من يوريبيديس وأريستوفانيس وسوفوكليس للمشهد قراءة واعية متبصرة. اعتمدوا فيها على أن المقدمات تؤدى عادة لنتائج من جنسها، فخطوب الدهر علمتهم أن الدوائر تدور على الباغى، وقد كان لهم فى الحرب الطروادية خير عبرة، ولذلك استدعتها قريحة كل من يوريبيديس وسوفوكليس. فقد تتخلى الآلهة عن دعمها لإحدى المدن، ولكنها لا تغفر تدنيس مقدساتها، ولا تترك ثأرها ممن يغالى فى الانتقام المدفوع بالصلف، الذى يؤدى إلى خلو معابدها من العبّاد. وهكذا نرى كل من أثينة وبوسيدون، اللذين دعما الإغريق بالأمس، يسعيان للثأر منهم عند يوريبيديس فى "الطرواديات"؛ لأنهم بصلفهم ومغالاتهم فى الانتقام من الطرواديين تسببوا فى هجر بوسيدون لأماكن عبادته، وأهانوا تمثال أثينة ودنسوا مقدساتها. يوضح بوسيدون أنه ترك أماكن عبادته عند سقوط المدينة:

“ἐγὼ δέ - νικῶμαι γὰρ Ἀργείας θεοῦ
Ἥρας Ἀθάνας θ’, αἵ συνεξεῖλον Φρύγας -
λείπω τὸ κλεινὸν Ἴλιον βωμούς τ’ ἐμούς”[36]

"ولأننى انهزمت من هيرا، الإلهة

الأرجية، ومن أثينة[٣٧]، اللتين تعاونتا فى الاستيلاء على فريجيا–

فإنى أرحل عن إليون الشهيرة، وعن المذابح التى تخصنى"

وتشير أثينة لما ألمّ بها وبمقدساتها من إهانة بعد سقوط مدينة إليون:

“Ἀθήνα
τοὺς μὲν πρὶν ἐχθροὺς Τρῶας εὐφρᾶναι θέλω,
στρατῷ δ’ Ἀχαιῶν νόστον ἐμβαλεῖν πικρόν.

[36] - Eur., Troiad., 23-25.

[٣٧]– من الغريب أن يتحدث بوسيدون عن هزيمة الطرواديين بوصفها هزيمة شخصية له، فمن المعروف من خلال أحداث الإلياذة، ومن خلال الحديث الذى دار بين بوسيدون وأبوللون (Hom., Il.21.435-460)، أن بوسيدون لم يأخذ صف الطرواديين ولم يناصرهم فى القتال، ولكنه كان يتمني هلاكهم.

Ποσειδῶν
τί δ᾽ ὧδε πηδᾷς ἄλλοτ᾽ εἰς ἄλλους τρόπους
μισεῖς τε λίαν καὶ φιλεῖς ὃν ἂν τύχῃς;
Ἀθήνα
οὐκ οἶσθ᾽ ὑβρισθεῖσάν με καὶ ναοὺς ἐμούς;
Ποσειδῶν
70οἶδ᾽, ἡνίκ᾽ Αἴας εἶλκε Κασάνδραν βίᾳ.”[38]

"أثينة:

أريد أن أسعد الطرواديين، أعدائى السابقين،

وأن أصيب جيش الطرواديين بعودة مريرة

بوسيدون:

لكن لماذا تثبين هكذا من جانب إلى آخر:

تكرهين وأيضا تغدقين بالحب إلى أقصى درجة على من تصيبين؟

أثينة:

ألا تعرف بالمعاملة المهينة لى ولمعابدى؟

بوسيدون:

أعرف، عندما جر أياس كساندرا (من هناك) بالقوة."

الثلاثية المقترحة

من المعلوم أن الكثير من موضوعات المسرحيات التراجيدية تم استقاؤه من الموروث الملحمى المستمد من الموروث الأسطورى. من ثم فإن الملحمة الأقرب لمعالجة مثل هذا الموضوع هي ملحمة "سقوط طروادة" Ἰλίου πέρσις، إلا أن الشذرات القليلة المتبقية من الملحمة لا تساعدنا فى استخلاص ما يفيد أنها تعرضت لفكرة خروج الآلهة من طروادة حاملين تماثيلهم. يصعب القول بأن سوفوكليس قد استمد فكرة خروج الآلهة حاملين تماثيل عبادتهم من الموروث الملحمى. ويبقى

[38] - Eur., Troiad., 65-70.

سوفوكليس متفردا فى طرحه وفقا لما ورد فى هذه الشذرة. أما فيما يخص تخلى الآلهة عن المدينة فيبدو أنها فكرة تنتمى إلى موروث قديم، وسوف نأتى للحديث عن هذا الموضوع لاحقا.

لم يصلنا كذلك من أى مصدر أو أية دراسة سابقة ما يربط هذه المسرحية بأية مسرحية أخرى فى سعينا للبحث عن ثلاثية متوافقة. لذا سوف يجتهد الباحث فى اقتراح أقرب عناوين المسرحيات، التى وصلتنا من أعمال سوفوكليس المتبقية والمفقودة، لموضوع "حاملو الأوثان"، والتى يمكن أن تشكل معها ثلاثية مقبولة.

المسرحية الأولى: "لاوكؤون" Λαοκόων

تعد واحدة من مسرحيات سوفوكليس المفقودة، والتى لم يتبق منها سوى بضعة شذرات. ويبدو من عنوان المسرحية أنها تركز على مأساة العراف لاوكؤون وابنيه، حيث نصح لاوكؤون الطرواديين بأن يحرقوا الحصان الخشبى، وعاقبه بوسيدون (أو الربة أثينة) بأن أرسل زوجين من الثعابين البحرية الضخمة قتلاه وابتلعا ولديه (أو أحدهما). وقد اعتبر أينياس Αἰνείας وأتباعه أن ما حدث نذير شؤم، وبمثابة تحذير إلهى من أن المدينة توشك على السقوط، فغادروا مدينة إليون إلى جبل إيدى Ἴδη[٣٩].

يشير ديونيسيوس الهاليكارناسى Διονύσιος Ἁλικαρνασσεύς (أواخر القرن الأول ق.م.– أوائل القرن الأول م.) إلى مسرحية "لاوكؤون" فى معرض حديثه عن خروج أينياس من إليون مع من تبقى من الطرواديين، بعد أن تعرض معظم الطرواديين للقتل والأسر. وقد قاد أينياس الجمع إلى نقطة حصينة فى جبل إيدى. يركز ديونيسيوس، الذى يستعرض الروايات السابقة عليه، على خروج أينياس حاملا معه الكنوز الثمينة والمتعلقات المقدسة، التى ورثها الطرواديون عن أسلافهم، ومرة

[39] - Arct., Iliou persis. Fr.1; Quint. Smyr., Posthomerica, 12.444ff.; Hyg., Fab.135; Ver., Aen. 2. 214.

أخرى يشير إلى أن أينياس حمل معه والده وآلهة المدينة[40]. ويستشهد ديونيسيوس بمسرحية "لاوكؤون" على خروج أينياس وسببه قائلا:

“Σοφοκλῆς μὲν ὁ τραγῳδοποιὸς ἐν Λαοκόωντι δράματι μελλούσης ἁλίσ κεσθαι τῆς πόλεως πεποίηκε τὸν Αἰνείαν ἀνασκευαζόμενον εἰς τὴν Ἴδην, κελευσθέντα ὑπὸτοῦ πατρὸς Ἀγχίσου κατὰ τὴν μνήμην ὧν Ἀ φροδίτη ἐπέσκηψε καὶ ἀπὸ τῶν νεωστὶ γενομένων περὶ τοὺς Λαοκοωντίδας σημείων τὸν μέλλοντα ὄλεθρον τῆς πόλεως συντεκμηραμένου. ἔχει δ᾽ ἐν αὐτῷ τὰ ἰαμβεῖα ἐν ἀγγέλου προσώπῳ λεγόμενα ὧδε:

νῦν δ᾽ ἐν πύλαισιν Αἰνέας ὁ τῆς θεοῦ
πάρεστ᾽ ἐπ᾽ ὤμων πατέρ᾽ ἔχων κεραυνίου
νώτου καταστάζοντα βύσσινον φάρος.
κύκλῳ δὲ πᾶσαν οἰκετῶν παμπληθίαν:
συμπλάζεται δὲ πλῆθος οὐχ ὅσον δοκεῖς,
οἳ τῆς δ᾽ ἐρῶσι τῆς ἀποικίας Φρυγῶν.”[41]

"سوفوكلس، الشاعر التراجيدى، فى مسرحيته لاوكؤون يصور أينياس، عندما أوشكت المدينة السقوط، وهو يغادر إلى جبل إيدى انصياعا لأوامر والده أنخيسيس Ἀγχίσης، بعد تذكره ما أمرته به أفروديتى، ومن خلال العلامات التى حدثت مؤخرا بالنسبة لابنى لاوكؤون، متكهنا بقرب دمار المدينة. وردت عنده أبيات فى الوزن الإيامبى، فى حضور الرسول (إلى خشبة المسرح)، الذى يقول ما يلى:

"الآن عند الأبواب يصل ابن الإلهة (أفروديتى)،
أينياس. والده محمولا على كتفيه
عاليا، على حين، أسفل ظهره، تضررت
طيات عباءته الكتانية ذات مرة من صاعقة زيوس
ويحيط بهما حشد من عبيد المنزل
هناك يصحبه عدد كبير لا يتخيله العقل
يتوقون للانضمام إلى مستعمرة الفريجيين"

[40] - Dion. Hal., Antiq. Rom.1.46-48.
[41] - Dion. Hal., Antiq. Rom.1.48.2.

بالنظر إلى اعتماد ديونيسيوس على مسرحية "لاوكؤون" بوصفها شاهدا على روايته، ومن خلال السياق الذى ورد فيه الشاهد، يمكننا أن ندرك أن مسرحية "لاوكؤون" عالجت أحداث ما قبل سقوط مدينة إليون، حيث لم يصل الإغريق بعد إلى حصن برجامون Πέργαμον، الواقع فى أعلى نقطة فى مدينة إليون. وقد تعرضت المسرحية لخروج أينياس، ومن تبقى معه، من الطروادیين[٤٢].

تشير بعض المصادر إلى أن أينياس لم يحمل من تماثيل الآلهة سوى البالاديون Παλλάδιον أو البالاديا Παλλάδια [٤٣]. وبالتالى يكون موقعها سابقا على مسرحية "حاملو الأوثان"، التى ستتعرض أيضا لأحداث ما قبل السقوط الكامل لمدينة إليون، وقبل أن يقتحم الإغريق قدس الأقداس ἄδῦτον، أعلى الحصن، حيث تماثيل العبادة المقدسة للآلهة، والتى يحظر رؤيتها ولا لمسها لغير المؤهلين[٤٤]، وبمجرد أن خرج الآلهة حاملين تماثيلهم سقطت المدينة بأكملها.

المسرحية الثالثة: "أياس اللوكرى" Αἴας Λοκρός

تعتبر أيضا من المسرحيات المفقودة. وقد حدد سوفوكليس اسم أياس فى عنوان المسرحية باللوكرى لتمييزه عن أياس الأكبر ابن تيلامون Τελαμών. ومن المعروف جيدا أن أياس الأصغر اللوكرى قد اشتهر باغتصابه لكساندرا Κασσάνδρα أمام تمثال الربة أثينة، حيث لجأت كساندرا إلى التمثال

---

[٤٢]– يروى أركتينوس Ἀρκτῖνος (ازدهرت أعماله ما بين ٧٧٥–٧٤١ ق.م.) أن أينياس وأتباعه غادروا المدينة إلى جبل إيدى، بعد أن قتلت الثعابين أحد أبناء لاؤكوون، قبل أن تخرج القوة المختبئة من الآخيين داخل الحصان الخشبى، وقبل أن يعطى سينون Σίνων الإشارة الضوئية بالنار للأسطول الآخى ليعود.

Arct., Iliou persis, Fr.1. = Dion.Hal. Antiq. Rom. 1.68.2ff.

[43] - Verg., Aen.2.705ff; Dion. Hal.Antiq. Rom.2.66.

[٤٤]– أيمن عبد التواب، "غنيمة يوريبيلوس Εὐρύπυλος "، مجلة أوراق كلاسيكية، عدد ١٤، ٢٠١٧، ص ١٧٣.

مستغيثة بالإلهة ومتشبثة بالتمثال[٤٥]. وبالتالى فإن معالجة مثل هذا الموضوع تتطرق إلى فكرة معاناة النساء عند سقوط المدينة، كما تتعرض لجرم إهانة تمثال العبادة وتدنيسه.

يناسب هذا الحدث– من حيث التوقيت– اللحظات الأولى لاستيلاء الإغريق على المدينة، واقتحامهم الحصن والمحراب، أى آخر نقطة حصينة فى المدينة، حيث سادت حالة من الذعر والفوضى. وتأتى تالية لمسرحية "حاملو الأوثان". ويبدو أن الربة أثينة لم تكن من بين الآلهة الذين حملوا تماثيل عبادتهم، ويتضح ذلك من الحوار الذى دار بينها وبين بوسيدون فى مسرحية "الطروادیات" ليوريبيديس: فعلى حين يوضح بوسيدون أنه رحل عن مواطئ عبادته فى طروادة[٤٦]، توضح أثينة أنها تعرضت هى ومقدساتها للإهانة، على يد أياس اللوكرى[٤٧].

يرجح الباحث أن التركيز انصب فى مسرحية "أياس اللوكرى" على الجرم الذى ارتكبه أياس الأصغر ومغباته، حيث قضت عليه أثينة، بمساعدة بوسيدون، فى طريق عودته من طروادة، بعد أن أسقطت على سفنه متعمدة جلاميد ضخمة، وأغرقه بوسيدون بضربة من شوكته الثلاثية قسمت الصخرة التى تشبث بها[٤٨].

بناء على ما سبق تكون مسرحية "حاملو الأوثان" هي المسرحية الثانية فى ترتيب الثلاثية. ويتضح من المسرحيات الثلاث أن سوفوكليس ركز على ما يعانى منه أهل المدينة التى تتعرض للحصار والسقوط: من قتل، وأسر، وتشريد، واغتصاب للنساء. واستطاع ببراعة وحنكة معالجة فكرة قداسة تماثيل العبادة، وحرص الآلهة على ألا تتعرض تماثيلها لإهانة أو تدنيس، وهى الأفعال التى من شأنها إثارة غضب الآلهة، وهو ما سنتعرض له لاحقا. وإذا دققنا النظر لاكتشفنا ببساطة أن ثلاثية

---

45 - Arct. Iliou Persis Fr.1.; Apd. Ep. 5.22; Strab. 13.1.40.
46 - Eur., Troiad., 23-25.
47 - Eur., Troiad., 64-70.
48 - Hom., Od.4.449-511.

سوفوكليس المقترحة ما هى إلا انعكاسا للأحداث التى مرت بها ميلوس، وما تعرضت له تماثيل هيرميس بعد ذلك. وربما تحمل تكهنا من سوفوكليس، قبل الحملة على صقلية، بأن أفعال الأثينيين فى ميلوس، وإهانة تماثيل هيرميس فى أثينا، لن تمر مرور الكرام، بالمقارنة بمصائر بعض قادة الإغريق بعد انتهاء الحرب الطروادية، نتيجة ما اقترفته أيدى الآخيين من أفعال مشابهة[٤٩].

هجر الآلهة الحامية مدينة إليون

اعتقد الإغريق مثل غيرهم من الشعوب القديمة فى ضرورة تحصين المدينة، فمنذ العصر الموكينى اهتموا بتشييد الحصون والأسوار، لكنهم مع ذلك ارتأوا أن ذلك لا يغنى عن السعى لطلب الحماية الإلهية، فاختارت كل مدينة لنفسها إلها أو أكثر يتزلفون إليه ليظللهم بحمايته. وأطلقوا على هذه الآلهة "الآلهة الحامية للمدينة" πολιούχοι θεοί. وقد اشتهرت الربة أثينة بعبادتها تحت لقب "بولياس" Πολιάς بوصفها حامية مدينة أثينا[٥٠].

صور هوميروس فى "الإلياذة" سعى الطرواديون لاستعطاف الربة أثينة، حامية مدينتهم، عندما طلب هيكتور Ἕκτωρ من والدته هيكابى Ἑκάβη أن تجمع النساء ويتقربن إلى الربة أثينة برداء πέπλος نفيس وبالذبائح، كى تحميه وتحمى المدينة من كرّة ديوميديس Διομήδης [٥١]. كذلك اهتم أيسخيلوس بفكرة الآلهة الحامية للمدينة، وصور لنا فى مسرحية "السبعة ضد طيبة" توسلات أهل طيبة

[٤٩]– عانى بعض القادة الإغريق من المصائر المأساوية بعد انتهاء الحرب الطروادية: فقد تاه أوديسيوس Ὀδυσσεύς فى طريق عودته، وكذلك مينلاوس Μενέλαος . وقتل أجاممنون Ἀγαμέμνων فور عودته. ولقى أياس الأصغر مصرعه. وأصيب يوريبيلوس بالجنون والتيه.
Hom.,Od.4.492ff; Paus., 7.19.6-9.

[50] - Schmitt (P.), "Athena Apatouria et la ceinture. Les aspects féminins des apatouries à Athènes", Annales: Economies, Societies, Civilisations, Thames and Hudson, London, 2000, p. 1059–1073.

[51] - Hom., Il. 6.86ff.

Θῆβαι لآلهتهم حماة المدينة لأكثر من مرة أن يقوموا بدورهم فى حماية المدينة[٥٢]. إلا أن أيسخيلوس استدعى فكرة أخرى تسترعى الاهتمام: أن الآلهة تتخلى عن المدينة المدحورة، فيقول:

"…. ἀλλ᾽ οὖν θεοὺς
τοὺς τῆς ἁλούσης πόλεος ἐκλείπειν λόγος."[53]

"….لكن القول السائر:

إن المدينة المستولى عليها تتخلى عنها آلهتها"

"μήποτ᾽ ἐμὸν κατ᾽ αἰῶνα λίποι θεῶν
ἕδε πανάγυρις"[54]

"ليت مجمع الآلهة (الموجود) ها هنا لا يتخلى عنى أبدا

طوال العمر"

"ποῖον δ᾽ ἀμείψεσθε γαίας πέδον
τᾶσδ᾽ ἄρειον, ἐχθροῖς
ἀφέντες τὰν βαθύχθον᾽ αἶαν…."[55]

"أى واد من الأرض ستستبدلون

أفضل من هذا، إن تركتم

للأعداء هذه الأرض ذات التربة المنتجة"

لم تكن هذه الفكرة بدعا من قول أيسخيلوس، إذ درأ أيسخيلوس– المعروف بتبجيله للآلهة– فى مسرحية "السبعة ضد طيبة" عن نفسه مسئولية هذا الاتهام الموجه للآلهة ببراعة، حينما وظف تعبير "القول السائر" λόγος، وقد أوضح بذلك أن هذا

[٥٢]– يظهر ذلك فى تضرعات الجوقة المستمرة، وفى حوارهم مع إتيوكليس فى معظم أجزاء المسرحية.

[53] - Aesch., Sept. cont. Theb.217-218.
[54] - Aesch., Sept. cont. Theb. 219-220.
[55] - Aesch., Sept. cont. Theb. 304-306.

الاتهام الموجه للآلهة– بأنها تتخلى عن المدن المدحورة– ليس من بنات أفكاره، ولكنه قول منتشر يسرى بين الناس: أى أنه متجذر فى الموروث الشعبى[٥٦].

بالرجوع للمصادر نجد أن تخلى الآلهة عن المكان، الذى تحميه حدث مرتين: الأولى، حينما أخرجت الأرض من بطنها المسخ تيفون Τυφῶν، عندئذ فزع الآلهة، وتنكروا فى هيئات حيوانية، وفروا إلى مصر[٥٧]، وحينئذ لم يكن البشر قد خلقوا بعد، ولم يكن لمفهوم المدينة وجود. والثانية، حينما تخلت الآلهة عن طروادة، وهذا هو الموقف الأقرب.

بناء على ذلك يستنتج الباحث أن فكرة رحيل الآلهة عن طروادة قبل سقوطها كانت فكرة راسخة فى الموروث الأسطورى قبل أيسخيلوس، وأن محصلة الرواية الأسطورية كانت تسرى سريان القول المأثور.

يمكننا القول إن سوفوكليس نظر إلى رحيل الآلهة بوصفه تخل عن المدينة. نستدل على ذلك من السياق الذى وردت فيه الشذرة: فالشارح الذى أتيحت له فرصة الاطلاع على المسرحية، أو حتى ملخصها استدعاها ليشرح مقصد أيسخيلوس بتخلى الآلهة عن المدن المدحورة، وما كان ذلك إلا لتيقنه من أن نص سوفوكليس كان يردد الفكرة نفسها. ويظهر هذا صراحة فى تعليق شارح آخر معلقا على مسرحية "السبعة ضد طيبة"، حيث يوضح أن مقصد أيسخيلوس أن الآلهة تخلوا عن طروادة، ويربطها بما ورد فى شذرة سوفوكليس– محل الدراسة– فيقول:

---

[٥٦]– من الصعب كذلك أن يضع أيسخيلوس على لسان شخصية بطولية من شخصيات الحرب الطيبية، صراحة، استشهادا بما حدث فى إليون، ذلك أن الحرب الطيبية وقعت قبل الحرب الطروادية، ولذلك اكتفى أيسخيلوس بالقول السائر دون توضيح أصله، ليؤكد الفكرة عند جمهوره دون أن يوقع نفسه فى خطأ قد يؤخذ عليه. وبالتالي سوف يستدعى المتلقى تخلى الآلهة عن الطرواديين من تلقاء نفسه بوصفه النموذج الأشهر. وفى هذا حذق وبراعة من أيسخيلوس.

[57] - Apd., Bibl.1.6.3.

“λέγεται γὰρ ὅτι ὅτε ἔμελλε ποθηθῆναι ἡ Τροία, ἐφάνησαν οἱ θεοὶ τοῖς Τρωσὶν ἀνελόμενοι ἐκ τῶν ναῶν τὰ ἀγάλματα αὐτῶν.”[٥٨]

"يقال إنه عندما أوشكت طروادة على الدمار، ظهر الآلهة لسلالة تروس (الطرواديين) وهم يحملون تماثيلهم من محاريبهم".

وقد سبق وأورد الباحث حديث بوسيدون فى برولوج "الطروادیات" ليوريبيديس عن رحيله عن مدينة طروادة عند سقوطها قائلا:

"ولأننى انهزمت من هيرا، الإلهة الأرجية، ومن أثينة، اللتين تعاونتا فى الاستيلاء على فريجيا- فإنى أرحل عن إليون الشهيرة، وعن المذابح التى تخصنى"[٥٩]

يقول فيرجيليوس Vergilius (٧٠-١٩ ق.م.) على لسان أينياس فى ملحمة "الإنيادة" Aeneis:

“….quae sit rebus fortuna videtis:
omnes, adytis arisque relictis,excessere
, quibus imperium hoc steterat…”[٦٠] **di**

" ... فإنكم تقدّرون أى مصير ينتظر وطننا.

لقد تخلت عنه جميع الآلهة، بعد أن هجرت كل مذبح ومحراب مقدس فيه.

لقد رحلت عنا جميع الآلهة التى أرست من قبل دعائم سلطاننا" [٦١]

---

[58] - Schol.rec. on Aesch. Theb. 203

[59] - Eur., Troiad., 23-25.

[60] - Verg., Aen.2.350-352.

[٦١]- يشير ماكروبيوس Macrobius (القرن الخامس م.)- تعليقا على هذه الأبيات التى وردت عند فيرجيليوس- إلى أن يوريبيديس سبق فيرجيليوس إلى هذه الفكرة، إلا أنه حينما أورد أبيات يوريبيديس سالفة الذكر وضعها خطأ على لسان أبوللون لا على لسان بوسيدون.

“Hoc unde Virgilius dixerit, nullus inquirit: sed constat illum de Euripide traxisse, qui in fabula Troadibus inducit Apollinem, cum Troia capienda esset, ista dicentem…”

=(Macrob., Satur.5.22.7.)

اعتمد الباحث فى ترجمة أبيات "الإنيادة" على ترجمة عبد المعطى شعراوى:

يشير كذلك تريفيودوروس Τρυφιόδωρος (القرن الثالث م.) إلى هجر أبوللون Ἀπόλλων لمدينة إليون عند سقوطها قائلا:

"χάζετο δ' Ἰλιόθεν Λυκίης ἐπὶ πίονα νηὸν
ἀχνύμενος μεγάλοις ἐπὶ τείχεσι Φοῖβος Ἀπάλλων."[62]

"انسحب أبوللون فويبوس من إليون إلى معبده المترف فى ليكيا،
حزينا على أسواره القوية[٦٣]"

نخرج مما سبق بأن سوفوكليس قد عالج موضوعا معروفا بالفعل للإغريق من موروثات الحرب الطروادية، تقوم فكرته على أن الآلهة قد تخلت عن الطرواديين، وأن الآلهة رحلوا عن المدينة قبل سقوطها.

لماذا هجرت الآلهة طروادة وتخلت عنها؟

لفتت فكرة خروج الآلهة من مدينة إليون قبل سقوطها، وتخليهم عن الطرواديين نظر القديس أوغسطين Augustine (٣٥٤-٤٣٠ م.)، الذى بحث عن مواضع تسمح له بانتقاد الموروث الدينى والأسطورى القديم والتشكيك فى الآلهة الوثنية، بغية نقض المعتقد الوثنى. وجه القديس أوغسطين الانتقاد للآلهة الوثنية الكلاسيكية لتخليهم عن عبّادهم وعن مدينة إليون، التى كان يتوجب عليهم أن يتكفلوا بحمايتها فى أكثر من موضع[٦٤]، وجعل شاهده بيت فيرجيليوس سالف الذكر (2.351). لقد كانت الآلهة القديمة، من وجهة نظره، عاجزة عن نصرة من تقربوا

فرجيليوس، الإنيادة، ترجمة: عبد المعطى شعراوى وآخرون، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

[62] - Tryphiod., Ilii excidium. 508-509.

[٦٣]- من الثابت فى الأساطير أن أبوللون شارك بوسيدون فى بناء أسوار طروادة، عندما خدما الملك لاؤميدون Λαομέδων فى فترة استعبادهما.

أيمن عبد التواب، "استعباد بوسيدون وأبوللون فى طروادة"، المؤتمر الدولى الخامس، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠١٤، جـ٢، ص ١٧-٣٣.

[64] - Augastin., de Cit. Dei., 2.22, 2.25, 3.7, 3.14.

إليهم بالعبادة من الطروادیين، وتخلوا عنهم عندما كانوا فى أمس الحاجة لدعمهم.

لا شك أن فكرة تخلى الآلهة عن مدينة إليون تتسم بالغرابة وتضع الآلهة فى مرمى سهام المنتقدين والمشككين. ولما كان من الصعب على الشعراء نفى الفكرة الموروثة، أو التشكيك فى مصداقيتها، فعلى أقل تقدير قد يكون منهم من اجتهد فى تقديم ما يبرر إقدام الآلهة على اتخاذ هذا القرار الغريب.

نفهم من شذرة سوفوكليس محل الدراسة أن الآلهة رحلت عن طروادة؛ لأنها أوشكت على السقوط. وهى إشارة تحمل عرضا للفكرة الموروثة أكثر من كونها تقدم مبررا مقبولا.

يوضح أيسخيلوس فى "السبعة ضد طيبة" أن المدينة التى يتم الاستيلاء عليها، ويلم بها الخراب، يتزعزع الإيمان فى قلوب أهلها، ويلوث الشك فى الآلهة تقواهم. يقول أيسخيلوس:

"μαινόμενος δ᾽ ἐπιπνεῖ λαοδάμας
μιαίνων εὐσέβειαν Ἄρης."[65]

"إن أريس قاهر الشعوب المجنون يعصف بجنون،

ويدنس التقوى (نحو الآلهة)"

ويشير إلى أن تكريم الآلهة صنو استقرار المدينة وازدهارها:

"γένεσθε δ᾽ ἀλκή: ξυνὰ δ᾽ ἐλπίζω λέγειν:
πόλις γὰρ εὖ πράσσουσα δαίμονας τίει."[66]

"وكونوا عونا (لنا). أعتقد أنى أتكلم للصالح العام؛

لأن المدينة التى تدبر شئونها جيدا تكرم الآلهة"

يسوق لنا يوريبيديس فى "الطروادیات" ما يمكن اعتباره تكهنا من قبل بوسيدون بالنتيجة التى ستترتب على سقوط المدينة؛ إذ يقول بوسيدون، بعد أن تحدث عن هزيمته على يدى هيرا وأثينة، وهجره لإليون ومقار عبادته فيها:

---

[65] - Aesch., Sept. cont. Theb.343-344.
[66] - Aesch., Sept. cont. Theb. 76-77.

“ἐρημία γὰρ πόλιν ὅταν λάβῃ κακή,
νοσεῖ τὰ τῶν θεῶν οὐδὲ τιμᾶσθαι θέλει.” [67]

"لأن اليباب القبيح عندما يستحوذ على مدينة،
تضمحل عبادة الآلهة، ولا يرغب أحد فى تبجيلها"

لقد التفت كل من أيسخيلوس ويوريبيديس، على ما يبدو، إلى غرابة فكرة تخلى الآلهة عن المدينة المستولى عليها، واجتهدا فى تقديم المبرر لها: فالآلهة يهجرون المدينة المدحورة، كما حدث فى إليون، مخافة أن تضمحل عبادتهم ولا يلقون التكريم اللائق. ويمكن فهم هذه الفكرة أيضا من منطلق أن العبّاد يفقدون الثقة فى آلهتهم التى لم تناصرهم أو تنصرهم؛ ذلك أنهم لم يؤدوا دورهم المنشود فى حماية المدينة.

لا نستطيع أن نقطع إذا ما كان سوفوكليس قد ساق فى تفاصيل عمله المفقود المبررات لخروج الآلهة من مدينة إليون وتخليهم عنها، كما فعل يوريبيديس، أم أنه لم يتعرض لذكر السبب.

خروج الآلهة بثماثيل عبادتهم وابتكارية سوفوكليس

يمكننا أن نستنتج أن سوفوكليس عالج الفكرة الشائعة عن هجر الآلهة لمدينة إليون، عندما أوشكت على السقوط، وهى الفكرة التى أشار إليها أيسخيلوس عرضا، على حين كان بوسيدون هو النموذج الوحيد الذى أورده يوريبيديس دون أى تلميح لخروج الآلهة الأخرى، وذلك فى سياق معالجته لموضوع سبايا الحرب الطروادية. ويختلف سوفوكليس عن نظيريه فى أنه جعل موضوع خروج الآلهة من طروادة محور معالجته المسرحية، كما أنه وافق الفكرة الشائعة فى خروج كآفة الآلهة من المدينة دون التركيز على إله بمفرده، وهو ما يبدو جليا من عنوان المسرحية.

تظهر براعة سوفوكليس كذلك فى حسن الانتقاء، والمعالجة، وتوظيف الحكاية للتلميح للأحداث المعاصرة بصورة تيسر على المتلقى فهم الرسالة، التى يود إيصالها.

[67] - Eur., Troiad. 26-27.

فتظهر براعته فى تعديله فى أحداث الأسطورة دون المساس بإطار روايتها. فقد أراد سوفوكليس– من وجهة نظر الباحث– أن يلمح إلى ما حاق بمدينة ميلوس؛ ليلقى الضوء على أن دمارها عمل يغضب الآلهة؛ ذلك أن مثل هذا العمل، الذى يتسم بالصلف، من شأنه أن يؤدى لاضمحلال عبادة هذه الآلهة، وهو الأمر الذى لا يمر دون عقاب. وفى دمار إليون خير عظة. كما صور الآلهة أثناء خروجهم من المدينة، وقد حملوا تماثيل عبادتهم، وفى ذلك تأكيد على فكرة حرص الآلهة على عدم إهانة مقدساتها وأهمية تماثيل العبادة بالنسبة لهم، ليخدم هدفه فى التلميح لما ألم بتماثيل هيرميس فى أثينا.

يمكننا القطع أن فكرة حمل الآلهة لتماثيل العبادة لم ترد إلينا من أى مصدر سابق قبل سوفوكليس، وهنا أيضا يكمن موضع ابتكاريته وأصالته. وربما استوحى سوفوكليس فكرته المبتكرة من الرواية الموروثة عن خروج أينياس من طروادة، التى تفيد بأن بعض التماثيل قد خرجت من المدينة قبل سقوطها، حينما وفر أينياس ممرا آمنا للشيوخ والنساء والأطفال ليفروا إلى جبل أيدى حاملين معهم مقدسات المدينة وثرواتها، ومن المعلوم أن أينياس نفسه خرج حاملا والده أنخيسيس على كتفيه وممسكا بالبالاديون رمز حماية المدينة[٦٨]. وربما تأثر أيضا بما ورد على لسان أثينة عند يوريبيديس فى "الطروادیات"، حيث تظهر كراهيتها لما تعرضت له مقدساتها من تدنيس، ورغبتها فى الانتقام ثأرا لكرامتها.

الشواهد على التماهى بين الآلهة وأوثانها

كانت التماثيل المخصصة للعبادة تعد نموذجا يحاكى هيئة الآلهة، ولا يضع لها سياق الحديث فى المصادر القديمة حدا ولا فاصلا بينها وبين الآلهة، حيث كان هناك تماهى بين الإله ووثنه: على سبيل المثال، يطلب هيكتور من والدته هيكابى أن

[68] - Arct. Iliou persis, Fr.1. = Dion.Hal., Antiq. Rom. 1.68.2ff; Hellan. Lesb., FGrH 4 Fr.31 Dion.Hal., Antiq. Rom.1.45.4-48.1.

تتقرب للإلهة أثينة بالتقديمات، وأن تتضرع لها بصحبة نساء المدينة، كى تشفق عليهم، وتؤيدهم بالنصر. وسارت الأمور على النحو التالى:

"ἣ δ᾽ ἄρα πέπλον ἑλοῦσα Θεανὼ καλλιπάρῃος
θῆκεν Ἀθηναίης ἐπὶ γούνασιν ἠϋκόμοιο." [69]

"أخذت الكاهنة ثيانو، ذات الوجنتين الجميلتين، العباءة

وبسطتها على ركبتى الإلهة ذات الخصلات الجميلة"

وبعد أن ابتهلت هيكابى ومن بصحبتها، يخبرنا هوميروس:

"ὣς ἔφατ᾽ εὐχομένη, ἀνένευε δὲ Παλλὰς Ἀθήνη." [70]

"لكن باللاس أثينة لوت عنقها معربة عن الرفض"

وحينما يستعرض الشاعر الغنائى ألكايوس Ἀλκαῖος (القرن السادس ق.م) مشهد اغتصاب كساندرا على يد أياس الأصغر، يصف كيف استجارت كساندرا بتمثال الربة أثينة، حيث أمسكت بذقن تمثال الربة، على حين لم يكترث أياس لذلك، وقد امتلأ صدره بنشوة النصر فى الحرب، عندئذ اندفعت الإلهة قاطبة جبينها عبر البحر الداكن، وقد ملأ الغضب صدرها، وأثارت عليها أثناء عودته رياحا عاصفة خفية[٧١].

وقد تعرضت بنات برويتوس Προιτίδες لعقاب هيرا؛ لأنهن استهن بتمثالها الخشبى، فاصابتهن بالجنون فسارت الفتيات فى تجوال طوفن فيه مناطق متعددة دون توقف[٧٢]. يرى بريمر Bremmer[٧٣] أن مثل هذه الشواهد وغيرها تؤكد فكرة التماهى بين

[69] - Hom., Il.6.302-4.
[70] - Hom., Il.6.311.
[71] - Alcaeus fr.298.20-27 (Voigt.).
[72] -Apd., Bibl.2.2.2.
[73]- Bremmer,"The Agency of Greek and Roman Statues", Opuscula, 6 (2013), p. 7–21.

الإله ووثنه، وهو أيضا ما ترجحه شيرى داوسون Sherri Dawson[٧٤]، وميلونوبولوس Mylonopoulos[٧٥]، وستينر Steiner [٧٦]، وبيتريدوس Petridos [٧٧].

نخرج مما سبق بأن الإغريق كانوا ينظرون للأوثان بوصفها تجسيدا تتنزل فيه الآلهة، وتسمح لهم عن طريقها بالاتصال المباشر بعد أن هجرت الآلهة الأرض[٧٨].

الشواهد على كراهية الآلهة انتهاك حرمة أوثانها

كان ما للآلهة من قداسة ينسحب على تماثيلها، فكان النظر إلى تماثيل الآلهة، من قبل غير المؤهلين، أو اقتحام خصوصياتها، أو الاعتداء عليها له عواقبه الوخيمة. فقد فقَد إيلوس Ἴλος بصره حينما امتدت يداه إلى البالليديون، ووقع بصره عليه، حيث كان من غير المسموح أن يقع عليه بصر أحد من البشر[٧٩]، وهو نفس المصير الذى مُنى به ميتيللوس Metellus، الذى أخذ البالليديا من معبد فيستا Vesta فى روما[٨٠]. وقد أصاب الجنون كل من أستراباكوس Ἀστράβακος وألوبيكوس Ἀλώπεκος بعد أن وقعت أعيونهما على تمثال الربة أرتميس أورثيا Ὀρθία الخشبى فى اسبرطة[٨١]. وقد لقى ديموفون Δημοφῶν حتفه بعد أن

[74] - Dawson (S.), "The Setting and Display of Cult Images in the Archaic and Classical Periods in Greece",PhD, McMaster University, 2002.

[75] - Mylonopoulos (J.), Divine Images and Human Imaginations in Ancient Greece and Rome. Religions in the Graeco-Roman World 170, Brill, Leiden, 2010.

[76] - Steiner (D.T.), Images in Mind: Statues in Archaic and Classical Greek Literature and Thought, Princeton University Press, 2001.

[77]- Peridou (G.), Divine Epiphany in Greek Literature and Culture, Oxford University Press, 2015.

[78] - Burkert (W.), "From Epiphany to Cult Statue: Early Greek Theos", in What is a God? Studies in the Nature of Greek Divinity, A. B. Lloyd Duckworth (ed.), London, 1997, p.15–34

[79] - Plut., Parallela Graeca et Romana.17.

[80] - Plut., Parallela Graeca et Romana, 17.

[81]- Paus. 3.16.9.

اطلع على غرض مقدس يخص ريا Ῥέα، ربما كان تمثالها[٨٢]. وقد أصاب ديونيسوس Διόνυσος بنات إليوثير Ἐλευθεραί بالجنون لتهكمهن على تمثاله[٨٣].

من هم حاملو الأوثان؟

يركز مضمون الشذرة على الآلهة الراعية لمدينة إليون، المتكفلة بحمايتها، والتى اخذت صف الطرواديين فى القتال، أو التى قدسها الطرواديون، وأقاموا لها محاريب العبادة. ولا يتعارض كون الإله- أو الإلهة- قد لاقى تبجيلا من قبل الطرواديين، مع موقف الإله الشخصى من القتال، فقد كانت أثينة على سبيل المثال إلهة مقدسة عند الطرواديين، على الرغم من أنها كانت تساند الآخيين، كما كان زيوس Ζεύς يقف على الحياد. ذلك أننا نتحدث هنا عن الآلهة الذين كان لهم تماثيل عبادة، ويتلقون التكريم فى طروادة بغض النظر عن موقفهم من القتال. ويمكن حصر أشهرهم فى: **أفروديتى**، التى تربطها بطروادة علاقة قوية، إذ إنها كانت زوجة أنخيسيس ووالدة أينياس، ونصيرة باريس Πάρις، كما أنه ساندت الطرواديين فى القتال. و**أبوللون**، الذى عمل فى خدمة لاؤميدون Λαομέδων، حيث كان يرعى قطيعه، وساعد بوسيدون فى تشييد أسوار المدينة، وقد اتخذ صف الطرواديين فى القتال. و**بوسيدون**، الذى شيد أسوار طروادة فى فترة خدمته للاؤميدون[٨٤]. و**أثينة**، التى كانت تتلقى العبادة من قبل الطرواديين، وكانت الإلهة الحامية للمدينة، حيث كان تمثال البالاديون طلسمها الذى يضمن سلامة المدينة. و**زيوس**، الذى كثيرا ما تضرع له الطرواديون فى "الإلياذة". و**ديونيسوس**، الذى كان له تمثال عبادة داخل صندوق محفوظ فى قدس الأقداس وفقا لرواية باوسانياس Παυσανίας (١١٠- ١٨٠ م.)[٨٥].

---

[82] - Apd.E.6.16.

[83] - Suid., S.V. μέλαν , Steph., S.V. ’Ελευθεραί.

[٨٤]- أيمن عبد التواب، "استعباد بوسيدون وأبوللون فى طروادة"، ص ١٧-٣٣.

[85] - Paus., 7.19.6-9.

وإذا كانت رواية سوفوكليس عن حمل الآلهة لتماثيل عبادتهم تبدو غريبة، فإن الرواية تبدو أكثر قبولا إذا ما علمنا أن بعض تماثيل العبادة فى طروادة قد دخلت المدينة بإرادة وفعل إلهى: فالباللاديون ألقاه زيوس فى موقع تأسيس مدينة إليون، وتمثال ديونيسوس الموجود فى قدس أقداسها كان من صنع هيفايستوس[٨٦].

يخلص البحث إلى أن مسرحية "حاملو الأوثان" ربما عرضت فى عام ٤١٤ ق.م. وأنها جسدت مع مسرحيتى "لاوكؤون" و"أياس اللوكرى" ثلاثية متوافقة فى الطرح. وأن سوفوكليس عكس حالة القلق التى انتابته وبعض الأثينيين، أثناء الإعداد للحملة على صقلية، من عواقب صلف القادة الأثينيين، وخشية الأثينيين من أن تعاقبهم الآلهة على ما اقترفه قادتهم فى ميلوس، وما حاق بتماثيل هيرميس فى أثينا. وقد صور سوفوكليس هذه الهواجس من خلال التعرض لمعاناة مواطنى مدينة إليون المدحورة من قتل وسبى وإذلال، وما ترتب على ذلك من إضمحلال لعبادة الآلهة فيها؛ نتيجة دمار المدينة، التى كانت تقدم طقوس العبادة لها، وتزعزع إيمان أهلها بمقدرة الآلهة على حماية المدينة. كما تعرض لفكرة قدسية تماثيل العبادة، وحرص الآلهة على ألا تتعرض أوثانها للتدنيس أو الإهانة، وهو ما يظهر جليا فى موضوع المسرحية محل الدراسة. اجتهد الباحث كذلك فى تحديد الآلهة الذين كان لهم مواضع عبادة فى إليون، والذين من المفترض أنهم خرجوا حاملين تماثيل عبادتهم من إليون.

[٨٦]– أيمن عبد التواب، "غنيمة يوريبيلوس"، ص١٦٠ وما بعدها.

قائمة المعاجم والمصادر والمراجع

أولا: المعاجم والقواميس العربية

المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤.

ثانيا: المعاجم والقواميس الأجنبية

Liddell (H.G.), Scott (R.), Jones (H.S.), and McKenzie (R.),	A Greek–English Lexicon, Oxford University Press, 1843.
Smith (W.),	Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Little, Brown and co, Boston, 1867

ثالثا: المصادر اليونانية واللاتينية

اعتمد الباحث فى معظم النصوص اليونانية على:

(Thesaurus Linguae Graecae (Tlg.) و Perseus Digital Library)

وفى النصوص اللاتينية على:

(PHI Latin Texts و Perseus Digital Library)

Aeschylus	Septem contra Thebas
Alcaeus	Fragmenta
Apollodorus	Bibliotheca
	Epitome
Arctinus	Iliou persis (Fragmenta)
Aristophanes	Aves
Aristoteles	De Poetica
Augastine	De civitate Dei
Dionysius of Halicarnassus	antiquitates romanae
Euripides	Troades
Hellanicus of Lesbos	Fragmenta
Homerus	Iliada
	Odyssea
Hyginus	Fabulae
Macrobius	Saturnalia
Pausanias	Hellados Periegesis
Plutarchus	Parallela Graeca et Romana
Quintus of Smyrna	Posthomerica
Scholia in Aeschylem	

Stephanus of Byzantium	Lexicon
Strabo	Geographica
Suidae Lexicon	
Thucydides	Histories
Tryphiodorus	Ilii excidium
Vergilius	Aeneis

رابعا: المصادر المعربة

فرجيليوس، الإنيادة، ترجمة: عبد المعطى شعراوى وآخرون، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.

خامسا: المراجع العربية

أحمد عتمان، الأدب الإغريقى: تراثا إنسانيا وعالميا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

أيمن عبد التواب، -"استعباد بوسيدون وأبوللون فى طروادة"، المؤتمر الدولى الخامس، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠١٤، جـ٢، ص ١٧-٣٣.

-"غنيمة يوريبيلوس Εὐρύπυλος "، مجلة أوراق كلاسيكية، عدد ١٤، ٢٠١٧، ص ١٥٥-٢٠٥.

باسل بن رؤوف الخطيب، "من التاريخ الدبلوماسي: التفاوض من مركز القوة، حوار اثينا وميلوس"، مجلة الدراسات الدبلوماسية"، العدد السابع، ١٩٩٠، ص ١٨٠-١٨٦.

سيد أحمد على الناصرى، الإغريق: تاريخهم وحضاراتهم، من حضارة كريت وحتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

سادسا: المراجع الأجنبية

Ahrensdorf (P.J.), Homer on the Gods and Human Virtue: Creating the Foundations of Classical Civilization, Cambrige University Press, 2014.

Andrewes (A.), "The Peace of Nicias and the Sicilian Expedition", in The Cambridge Ancient History, Vol.5, D.M. Lewis, J. Boardman, J.K. Davies and M. Ostwald (eds.), Cambridge University Press, 2006, p.433-463.

Atkison (L.M.), "Tragic Rhetoric: Sophocles and the Politics of Good Sense", PhD., University of Toronto, 2013.

Badger (N.J.), Sophocles and the Politics of Tragedy: Cities and Transcendence, Innovations in Political Theory (Book 48), Routledge, London, 2012.

Bremmer (J.N..), -"Atheism in Antiquity", in The Cambridge Companion to Atheism, Michael Martin (ed.), Cambridge University Press, 2006.

-"The Agency of Greek and Roman Statues", Opuscula, 6 (2013), p. 7–21.

Burkert (W.), "From Epiphany to Cult Statue: Early Greek Theos", in What is a God? Studies in the Nature of Greek Divinity, A. B. Lloyd Duckworth (ed.), London, 1997, p. 15–34

Crane (G.), Thucydides and the Ancient Simplicity: The Limits of Political Realism, University of California Press, 1998.

Dawson (S.), "The Setting and Display of Cult Images in the Archaic and Classical Periods in Greece", Unpublished dissertation, McMaster University, 2002.

Dindorf (W.), Poetarum Scenicorum Graecorum: Aeschyli, Sophoclis, Euripidis, et Aristophanis abulae quae extant omnes: cum deperditarum fabularum fragmentis, necnon caeteris earum scriptis, J. Abrams et C. Richards, London, 1846.

El-Abbadi (M.), The Life and Fate of the Ancient Library of

Alexandria, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Mayenne, 1990.

Eliot, S., and Rose, J. (eds), A Companion to the History of the Book, Blackwell Publishing, Malden, Massachusetts, 2007.

Ferrario (S.), "Political Tragedy: Sophocles and Athenian History", in Brill's companion to Sophocles, Andreas Markantonatos (ed.), Brill, Leiden, 2012, p.447-470.

Jouanna (J.), Sophocles: A Study of His Theater in Its Political and Social Context, tr. by Steven Rendall., University of Princeton Press, 2018.

Kagan (D.), -The Peace of Nicias and the Sicilian Expedition. Cornell University Press, 1981.
-The Fall of the Athenian Empire, Cornell University Press, London, 1987.

Kirkwood (G.M.), "The Dramatic Role of the Chorus in Sophocles", Phoenix, Vol. 8, No. 1 (Spring, 1954), p.1-22

Kitto (H.D.F.), Greek Tragedy: A Literary Study, Doubleday, Garden City, New York, 1957

Kousser (R.), "The Mutilation of the Herms: Violence toward Images in the Late 5th Century BC", in Autopsy in Athens: Recent Archaeological Research on Athens and Attica, Oxbow Books, Oxford, 2015, p.76-84.

Mylonopoulos (J.), Divine Images and Human Imaginations in Ancient Greece and Rome. Religions in the Graeco-Roman World 170, Brill, Leiden, 2010.

Nauck (A.), Tragicorum Graecorum Fragmenta, B.G. Teubner, Lipsiae, 1856.

O'Connor (M.B.), Religion in the Plays of Sophocles, George Banta, Wisconsin, 1923.

Osborne (R.), "Sophocles and Contemporary Politics", in A Companion to Sophocles", Kirk Ormand (ed.), Wiley-Blackwell, Malden, 2012.

Pearson (A.C.), The Fragments of Sophocles, Cambridge University Press, Vol.2, 1917.

Peridou (G.),	Divine Epiphany in Greek Literature and Culture, Oxford University Press, 2015.
Raaflaub (K.A.),	"Sophocles and Political Thought", in Brill's companion to Sophocles, p.471-488.
Radt (s.),	Tragicorum Graecorum Fragmenta, Vandenhoeck and Ruprecht, Göttingen, Vol.4, 1977.
Seaman (M.G.),	"The Athenian Expedition to Melos in 416 B.C.", Historia: Zeitschrift für Alte Geschichte, Bd. 46, H. 4 (4th Qtr., 1997), p. 385-418.
Staikos (K.),	The Great Libraries: From Antiquity to the Renaissance, Oak Knoll Press, Newcastle, Delaware, 2000, p.68
Steiner (D.T.),	Images in Mind: Statues in Archaic and Classical Greek Literature and Thought, Princeton University Press, 2001.
Van Erp Taalman Kip (A.M.),	"Euripides and Melos", Mnemosyne, Fourth Series, Vol. 40, Fasc. 3/4 (1987), p. 414-419.
Wassermann (F.M.),	"The Melian Dialogue", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 78 (1947), p. 18-36.
Weiner (A.),	"The Function of the Tragic Greek Chorus", Theatre JournalVol. 32, No. 2 (May, 1980), p. 205-212.
Welcker (F.G.),	Die griechischen Tragödien mit Rücksicht auf den epischen Cyclus, E. Weber, Bonn, 1839.
Westlake (H.D.),	"Sophocles and Nicias as Colleagues", Hermes, 84. Bd., H. 1 (1956), p.110-116.
Winiarczyk (M.),	Diagoras of Melos: A Contribution to the History of Ancient Atheism, Trans. Witold Zbirohowski-Kościa, Beiträge zur Altertumskunde, Band 350, De Gruyter, Berlin, 2016.
Witty (F.J.),	"The Other Pinakes and Reference Works of Callimachus". The Library Quarterly,43, (July 1973), p.237-244
Wright (A.),	Glut: Mastering Information Through the Ages. Joseph Henry Press, Washington, 2007.